



خواطر فكرية

عبدالعزیز بن محمد الخاطر

«الله ياعمري قطر» لحظة صدق مطلق

كيف تحولت أغنية «الله ياعمري قطر» من مصدر إلهام إلى عقبة أمام التجدد والإبداع؟ أتابع برامج اليوم الوطني منذ أعوام عديدة وكثير من الأعمال الفنية الوطنية المحشودة لها، كلمةً ولحناً وأداءً جميع عناصر النجاح لكنها، تقف عند عتبة هذه الأغنية «الله ياعمري قطر» لا تتجاوزها. مالسرف في هذه الاغنية؟. هناك كلمات أخرى رائعة وألحان أيضاً جميلة وأداءً ربما أجمل ومع ذلك، حتى مطربي اليوم يبدعون في أداء هذه الأغنية أكثر من إبداعهم في أداء أغانيهم الخاصة بهم. الأغنية الوطنية تختلف نوعاً ما عن الأغنية العاطفية، حيث إنها تعكس الواقع؛ واقع المجتمع ولاكتفي فقط بصدق أحاسيس الشاعر، لذلك تجد الأغاني الوطنية الخالدة هي ما يجتمع فيها صدق الكلمة وصدق الواقع الذي تعبر عنه، خذ مثلاً «أخي جاوز الظالمون المدى» خالدة في وجدان المواطن العربي رغم عدم صدق الواقع الحالي مقارنة بالواقع الذي ولدت فيه هذه الأغنية؛ ارتباط الأغنية الوطنية بواقعها هام جداً لاستمرارها وملاستها لوجدان المجتمع، «دعاء الشرق»، كذلك وغيرهما، في حين أن الأغاني التي تمجد رؤساء وزعماء رغم جمالها مثل «عاش اللي قال» لعبد الحليم حافظ أثناء حرب أكتوبر اختفت بعد وفاة الرئيس السادات الذي قيلت فيه.

«الله ياعمري قطر» هي من النموذج الأول صدق المشاعر وصدق الواقع الذي عبرت عنه لذلك استمرت وستستمر.

إشكالية ما جاء بعدها من أغان وطنية تتمثل في عدم اكتمال ضلعي الأغنية الوطنية الصادقة أو عدم تطابقهما بالشكل الذي يلامس وجدان المجتمع، إما من جانب النظم المتكلف أو من جانب عدم التعبير عن وجدان المجتمع بالشكل الذي يلامسه بلا استئذان، أغنية «الله ياعمري قطر» صادقة وظهرت في وقت صدق يعيش في وجدان المجتمع، لذلك لكي تتحول إلى إنجاز يمكن البناء عليه، لا بد من إصلاح المعادلة المذكورة سابقاً، وهما صدق الكلمة والإحساس، وصدق الواقع الذي يمثله ذلك الإحساس وتشدو به تلك الكلمات، ماجاء من بعدها من أغان إما إنها صادقة والوقت كذاب أو أنها غير «صادقة» في التعبير عن واقع المجتمع بشكل يرتاح له ضمير المجتمع، لذلك نتذكرها حين نسمعها فقط، لكنها لا تلامس وجدان المواطن، إلا لحظات الاستماع، تشعر بأن هناك فجوة، فجوة صدق يحتاج المجتمع أن يردمها من خلال التعبير الصادق عن وجدانه كما عبرت عن ذلك «الله ياعمري قطر» لذلك ستظل برامجنا الوطنية في أعيادنا الوطنية عيال على هذه الأغنية حتى تكتمل لحظة الصدق بشكل مطلق يدفع المجتمع نحو الإبداع بشكل مستمر ويجعل من هذه الأغنية لحظة صدق ضمن تاريخ من الصدق أشمل.

